

الفصل الثاني

البيئة الجغرافية والاجتماعية لبلاد المغرب العربي

اولا المغرب قبل التحرير العربي الإسلامي

التعريف ببلاد المغرب:

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد . وبلاد المغرب هي كل الأقاليم الواقعة غرب مصر ابتداء من الإسكندرية حتى طنجة على المحيط الأطلسي .
وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تحديد مدلوله : فجعله بعضهم يشمل بلاد شمال أفريقيا فضلا عن اسبانيا الاسلامية (الاندلس) وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سرديانية وقورسيقا وجزر البليار او الجزر الشرقية .
ويذهب فريق آخر من المؤرخين الى أن مصر أيضا ضمن مجموعة البلاد الغربية لكونها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الحقبة الإسلامية الأولى .
وفي أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعا فصارت الشام أيضا ضمن المغرب إذ إن العباسيين قسموا دولتهم إلى قسمين وهما المغرب ويشمل الشام ومصر وأفريقية وما يليها غربا . والمشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا .

ثانياً اقسام بلاد المغرب :

منذ القرن الخامس الهجري قسمت بلاد المغرب الى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق اداريا .

وهي :

- (1) برقة وطرابلس ، وهما الاقليمان الاولن من ناحية الشرق لبلاد المغرب.
- (2) المغرب الأدنى : ويسمى أيضا (أفريقية) يشمل المنطقة الممتدة من غرب مصر الى الأجزاء الشرقية من الجزائر. وشهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان أيام حكم الأغالبة . ثم المهديّة أيام العبيديين ثم تونس منذ عهد الحفصيين الى اليوم ويسمى بالمغرب الأدنى لانه اقرب الى دار الخلافة من المشرق.
- (3) المغرب الأوسط : ويشمل المنطقة الممتدة من مدينة بجاية حتى وادي ملوية وكانت عواصمه في العصور الوسطى كلا من مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية. ومدينة أشير أيام الدولة الزييرية الصنهاجية التي خلفت العبيديين في حكم المغرب .
- (4) المغرب الأقصى : ويشمل المنطقة التي تلي المغرب الأوسط حتى المحيط الأطلسي وتعد امتدادا طبيعيا له ، والمغرب الأقصى يعرف اليوم باسم المملكة المغربية او المغرب ويمتد ما بين وادي

ملوية وتلمسان شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً وسمي بالمغرب الاقصى لبعده عن مركز الخلافة في المشرق.

البيئة الجغرافية لبلاد المغرب:

يمكن تقسيم بلاد المغرب على أربعة أقسام رئيسية هي :

1. المنطقة الساحلية : وهي المنطقة المطلية على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي وهذه المنطقة فصلها عن الداخل سلسلة جبال أطلس ،وفي هذه المناطق قامت تجمعات سكانية ساعدتها الظروف الطبيعية من أرض خصبة ومناخ معتدل على قيام زراعة ناجحة.

2. المنطقة الجبلية : عبارة عن سلاسل جبلية موازية للبحر المتوسط والمحيط الاطلسي ،وهي حاجز طبيعي فصلت بين منطقة السهول والصحراء .

وتتقسم هذه السلاسل على ثلاثة أقسام:

1. الأطلس البحرية : وتسمى أطلس التل وهي مجموعة سلاسل تحادي الساحل ومنها جبل ارليف.

2. الأطلس الصحراوي : وهي سلسلة تسير موازية لجبال اطلس التل وتلتقي بجبال زغوان بتونس الا أن اطلس الصحراوي يمتاز عن اطلس التل بشدة ارتفاعه ولاسيما في المغرب الاقصى.

3. الأطلس الكبرى : وهي سلسلة جبال تمتد في جوف الصحراء من جنوبي وادي سوس حيث تحمل اسم جبال أطلس الكبرى والى جانبها سلسلة جبال درن.

4. منطقة السهول : تقع سهول المغرب على ساحل المحيط الاطلسي وساحل العدو والبحر المتوسط وأشهرها سهل شادية ودكالة وعيده بالمغرب الاقصى ويوجد سهل يبلغ طوله نحو 300 كم وعرضه بين 20-80 كم ومتوسط ارتفاعه نحو 250 م فوق سطح البحر .

5. منطقة الصحراء : وهي تلي منطقة الجبال وتمتد من مصر شرقاً حتى وادي درعه في جنوب المغرب الاقصى ويطلق على هذه المنطقة منطقة الجريد لكثرة النخيل بها.

الانهار :

توجد في بلاد المغرب أنهار عديدة تتبع من جبال أطلس وتجري بأطوال مختلفة الى أن تصب في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ومن أهمها :

1. الانهار التي تصب في البحر المتوسط : وهي نهر المجردة في تونس ونهر الشلف في الجزائر ونهر الملوية.

2. الانهار التي تصب في المحيط الاطلسي : وهي نهر سبو في المغرب الاقصى ونهر أم الربيع وهناك أنهار أخرى مثل نهر أبو رقراق ونهر تنفست ونهر سوس.

يمكننا أن نقسم سكان بلاد المغرب الى الاقسام الرئيسية التالية:

1-البربر

أن كلمة (بربر) التي أطلقت على سكان المغرب فهي : كلمة دخيلة أطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والاعريق . أما السكان الاصيليون فلا يسمون أنفسهم بالبربر . فلكل قبيلة اسمها الخاص بها . والظاهر أن كلمة بربر اسم صوت جاء من أن البربر يتحدثون أصواتا غير مفهومة تغلب عليها (الراء والباء) حينما يتكلمون أي بمعنى انهم (ببربرون) في كلامهم فقيل لهم (ما اكثر بربرتهم) . ويقسمهم المؤرخين الى قسمين كبيرين على أساس مدى علاقتهم بالتحضير والتصحر وهما :

أ-البترا :

وهم الرحل ، سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل واهم قبائلهم زناته ببطونها جراوه ومغراوه ومكناسه وبني يفرن وبني مرين وبني زيان وبني وطاس وهم منتشرون في جميع أنحاء المغرب وانتقل قسم منهم إبان الفتح إلى الأندلس.

ب-البرانس :

هم المستقرون الذين يعيشون على الزراعة وهم قبائل عديدة أهمها قبيلة صنهاجة ببطونها وفروعها الممتدة الى مختلف أنحاء المغرب . فهناك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى والأوسط. وهناك صنهاجة الجنوب التي تعيش في صحراء شنقيط(موريتانيا الحالية) ويعرف أفرادها بالمثلمين وهم رعاة متقلون.

وجد الباحثون الفرنسيون تفسيراً آخر لهذا التقسيم أساسه نوع اللباس التي كانت تلبسه هذه الجماعات القبلية وهو البرنس اللباس القومي المعروف عند المغاربة فالبرانسة في اعتقادهم : هم الذين يلبسون البرانس بغطاء الرأس . أما البترا هم الذين يلبسون هذا الزي أبترا سمو بترا (جمع بتر). وكانت قبائل البترا والبرانس تدين بأديان مختلفة . فالمسيحية انتشرت بين المستقرين منهم في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة او مجاورة للسيادة البيزنطية. كذلك انتشرت الديانة اليهودية منذ القدم في داخل البلاد حيث انتشر اليهود كتجار ومرابين ،إما الديانة الوثنية فقد كانت منتشرة بين معظم تلك القبائل ولا سيما في البوادي والجبال والصحراء .

2-الأفارقة : وهم أقلية سكانية كانت تدين بالنصرانية وعرفت بخدمتها للروم الذين أخذوا عنهم كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم . واعتنق بعضهم الإسلام بعد عمليات التحرير العربي لبلاد المغرب مع احتفاظهم بلغتهم الخاصة وعاداتهم.

2-الروم البيزنطيون : وهم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلي والذين لم يتوغلوا للداخل نتيجة صعوبات الحياة فضلاً عن رفض القبائل لسلطة المستعمرين وبمرور الوقت أسنقر معظمهم واشتغلوا بالتجارة والزراعة.

3- السودان : وجودهم على أرض المغرب قديم لا تحدده حقبة زمنية معينة ، بل يرتبط بطبيعة علاقة المغرب الأزلية بأمم السودان.

اليهود : وهم اقلية من سكان بلاد المغرب واغلبهم كانوا يمارسون التجارة واعمال الصناعة وخاصة صناعة الحلبي الذهبية.